قصص

حارس البئـــر

كمـــال عقـــوقة

الكتاب: حارس البئر

المؤلف: كمال عقوقة أحمد محمد

مصر

الغلاف للفنان: مصطفى عبد الحليم

الطبعة الأولى

رقم الإيداع: ٢٠٣٠١ / ٢٠١٨

الترقيم الدولي: 977-270-113-90-9

أحمد، كمال عقوقة محمد

حارس البئر

المركز الأدبي للتنمية الثقافية بأسيوط

تد مك: ٩-٩٠-١١٣-٢٧٠-٩٧٧

كمال عقوقة أحمد محمد

القصص العربية- العنوان: أ : ... ص

اهـــــــداء

الأن . . إلى روحك يا أبي

. . . وإلى روحك يا أخي الحبيب

وإليك أمي الغالية

وإلى ريح الأصدقاء توائم الروح ونبت القلم

"حارس البئر"

كمال

غـــيـــرة

أنظر إليه بعين الحيرة..
يشغلني بالكثير من التساؤلات.....
لماذا لم يقف بجانبي تلك الفترة العصيبة..؟
لماذا يهرب مني، كلما اقتربت منه؟
هل نضب قلبه..؟
قطعا.. لم يعد باستطاعته مساعدتي ؟
هل جفت مشاعره...؟
ينظر نحوى وشعور الغيرة ينتابه بقوة، إذن ما زالت مشاعره حيّة لم تمت بعد..
على ما يبدو هناك موجة من تساؤلات عدة ضربته...
فكيف يكتب وهو لا يشعر بما في نفسي ؟

كيف يسيل دمه على أوراقٍ لأناس لا يشعرون به ؟
كيف يصور كلماتي دون أن يشعر بها..؟

عندما اقتربت منه بلطف وأمسكته بين أصابعى وكأنى أحتضنته بعد فراق طويل.. شعرت بشوقي إليه ابتسمت قائلا:
- لم يعد يشغلني عنك أحد.. هل تخلصت من الأوهام ..؟
لم يجب..!!
عندما سمع كلماتي أحس بى.. راح يرتعد بيدي، ويهز أصابعي بقوة، شعرت بنبض قلبه يضخ دماً كثيفا من أجل أن أكتب ما تبقى من حروف...!!
بطعم الغيرة.. سارع يمسني بحرف جديد لم أكتبه، ولم يكتبه من قبل..!

☆☆☆

حـــارس البئـــر

ذلك الواقف هناك كالصنم لم يتوان لحظة واحدة عن حراسة ذلك البئر ، الجميع يخافونه ولا يقتربون البتة... يقولون أن البئر مليء بالذهب والفضة والمرجان وخيرات الأرض..

لكن البئر مسكون بذلك الحارس، وعائلته من أهل الجآن، كان يظهر حينا ويختفي أحيانا.. فمن المجنون الذي يتحدى الجآن وهم أقوياء.. بل من يستطيع الاقتراب من البئر ويشرب منه يكن حارسه للأبد، هكذا قالوا..

لكن أهل القرية كلهم جبناء لا يقتربون. كان الحارس الجنيّ يرصد كل شخص يحاول

الاقتراب من البئر؛ ويقتله بفظاعة.. وكأن الاقتراب دربا من دروب المستحيل..

يتمني الكثيرون أن يرتشفوا قطرة منه، ليصبحوا حراس البئر مكانه، وكأن ماءه نزل من أنهار الجنة، إلا شخصا مجنونا لم ييأس يوما في محاولاته للوصول إلى البئر،

كان يذهب كل يوم يحاول أن يشرب منه، ظل على هذه الحال حتى اعتاد الحارس عليه، فسمح له بالاقتراب يوما شريطة ألا يشرب من ماء البئر أبدا، يراه فقط، ثم يغادر .. وعده ألا يفعل....!

كلما نظر إلى الماء شعر أنه يعطش ويعطش.. وأن هناك صوت يناديه ليبل ريقه.. يقترب أكثر ، ينظر إلى صورته على صفحة الماء، يتأملها في غرابة شديدة وهي تهتز بعنف...

فجأة..!
توقفت الصورة عن الاهتزاز للحظة.. نظر إليه، وقالت بصوت خفيض:

- لم يصل بشر إلى هذا المكان، سيذكر التاريخ يوما أنك الوحيد الذي اقترب من البئر..

تمتد يده بحركة لا إرادية إلى الماء، يغترف غرفة ويشرب في نهم، يسمع صرخة هادرة، ترج الأرض تحت قدميه..

ضباب، ودخان.. يحيطان به من كل اتجاه، يميز بصعوبة وجه الحارس الذي يحترق وهو يرمقه بنظرة غاضبة، ثم يقفز داخل البئر ..

شيئا فشيئا يضيق البئر ويضيق حتى ينغلق بعد أن ابتلع الحارس تماماً، واستوى كأنه لم يكن هناك في انتظار الحارس الجديد...!

☆☆☆

□

الشيخ الجليل

يراودنى الإحباط بمجرد التفكير في دخول هذا المكان؛ فأشتعل غضباً..

قررت أن أذهب إلى ذلك الشيخ الجليل المعروف بصاحب الكرامات.. عندما وقع بصره عليّ، قال : ألست محبطاً من ذلك المكان يا.....؟
قلت في دهشة: بلى
قال: هل تستطيع أن تحضر بخوراً مغربياً وديكاً رومانيا ومسكاً سعودياً وغراباً مصرياً..؟

قلت في حيرة شديدة: ما لي طاقة بذلك، قال فلتدفع إذن ألف جنيه، وأنا أرسل لك الآن من يحضرها..؟
قلت في استسلام: نعم.. !!

وضعت يدي في جيبي وبلا تفكير دفعت المبلغ وجلست بالخارج أنتظر من يحضر الأشياء. ثم دخلت إلي نفسي وساوس غريبة، لم يطل انتظاري أرسل الشيخ في طلبي، ولما رأيت المنظر .. تحول قلقي إلى رعب رهيب.

بدأ الشيخ يتمتم بكلام غير مفهوم، وكأنه يهزي .أحضر موقداً ممتلئاً بالفحم المشتعل، وفتح قارورة من المسك النفاذ وغسل يديه، ثم سكب الباقي على ملابسه. وألقي البخور في الموقد المشتعل، حتى غطى الدخان كل شيء بالغرفةحولنا، لم أعد أرى شيئا، كأنها شبورة كثيفة جدا، عندها أصابنى الذعر أكثر فأكثر . أيضا لا أفهم شيئا، لكن الرجل لم يتوقف لحظة واحدة عن التمتمة...

رأيته يمسك بسكين تلمع في يده رغم الظلمة القاتمة، كيف لا أدري، ربما من أثر

البخور الملقى على الفحم، وربما هي احدى بركات الشيخ الجليل، أمسك بالديك وتمتم في فمه، ثم راح يذبح الديك حتى فصل رأسه عن جسده، وعمت رائحة الدماء، وطعم الموت في الأجواء حولي، ثم تطرَّق إلى سمعي نعيق الغرابِ المصري الذي أعرفه جيدا، وأتشاءم منه دوماً، انتفضت رعباً، ثم تماسكت قليلا، وهو يضرب الموقد بجناحيه؛ فينسكب الموقد على الشيخ الجليل.

أمسكت النار بملابس الرجل من أثر المسك وشيء يشبه الزيت...
انتفضت واقفا كصنم لا حركة ولا تفكير في الهرب، فقط تسمرت في مكاني، بينما احترق الشيخ الجليل حتى النهاية،
وأنا ..... ظللت محبطا..!

***

□

موقف

اليوم انتخابات الرئاسة، طبيعة عملي تقتضي مني الحذر، فالمسؤلية كبيرة، والمرشحان يتنافسان بقوة، المواطنون يتوافدون على صناديق الاقتراع،يدخل رجل بدون بطاقة محاولاً الإدلاء بصوته، طلبت منه البطاقة..

بتردد وتأفف أخرج الرجل رقم اللجنة، رفضت لعدم قانونية صوته بدون وجود بطاقة الرقم القومي، هذه هي التعليمات أصر قائلا في استعطاف شديد:

أيها القاضي؛ أناشدك بروح القانون. قلت هل معك جواز سفر .. هز رأسه يمنة ويسرة.. قلت هل معك صورة البطاقة تجاوزا وعلى مسئوليتي الشخصية..؟

انفرجت أسارير الرجل وقال مسرعاً: نعم.
قلت: أحضرها.

وبعد قليل.... دخل اللجنة في سرعة شاهراً صورة البطاقة، أخرجت له استمارة التصويت، لم يذهب خلف الستار ، وأصر على التصويت على مرأى مني ومن الجميع، شطب بعلامة إكس كبيرة تملكت كل زوايا ورقة الانتخاب رفضا لكلا المرشحين ثم أغرق اصابعه الخمسة واحدا بعد آخر في قارورة الحبر متعمدا ، ثم مضى متقافزا في سعادة بالغة إلى بعيد..!

☆☆☆

□

رد الجميل

كان يسهر الليل، يتفانى في الحراسة، فهو يريد أن يرد الجميل لذلك الشخص الذي أواه من الشوارع ووفر له المأكل والمسكن والمشرب، وآمنه على تلك الحديقة الواسعة، حتى أنه أصيب في مطاردة لبعض اللصوص، وانكسرت ساقه، لم يعد قادرا على أداء دوره في حراسة الحديقة على أكمل وجه.

قرر صاحب الحديقة أن يشتري كلبا مدربا على الحراسة، أحس هو بطعنة غادرة في قلبه، فهو أبدا لم يقصّر لحظة واحدة، وما حدث له كان غصبا، فلماذا يفعل الرجل ذلك..؟

كان يتشاجر مع ذلك الكلب المدرب كل يوم وكأنه يريد أن يثبت أنه الأقوى والأجدر بالحراسة.

بل ليثبت أنه الأذكى والأقدر في أداء دور الحارس، راح يحاول الاحتكاك به ويتعمد الاشتباك معه مرة ومره، حتى شغله عن الحراسة وانشغل معه وسرق البعض الحديقة قرر صاحب الحديقة طرده بعد أن ملّ منه، وطالبه بالفعل أن يخرج نهائيا من الحديقة دون رجعة، فاتجه إلى الشارع هائما على وجهه ضاربا في الشوارع والميادين دون هويّة، حتى انضم إلى قطيع ضال.

وكلما مرّ قريبا من الحديقة يحوم حولها وكأنه يطمئن عليها من بعيد ثم ينصرق إلى حال سبيله، وذات يوم وجد لصوصا كثيرين يقفزون من سور الحديقة، فقز خلفهم، واشتبك الكلب المدرب معهم لكنهم تكاثروا عليه، فقرر سريعا أن يساعده في هذه المعركة حتى جرحا أغلب اللصوص وسقطوا مهزومين، وجاء صاحب الحديقة

ونظر إليه ممتنا بعد أن قبض على اللصوص، هز زيله مطأطئا رأسه وعيناه مليئتان بالدمع، ثم التفت مستديرا ليخرج من الحديقة..

عندها ناداه صاحب الحديقة وطلب منه أن يبقى من الكلب المدرب ليساعده في الحراسة. فبقي بالحديقة وعاش سعيدا حتى مات بطلق ناري في معركة مع لصوص غرباء هاجموا الحديقة، فقرر صاحبها أن يدفنه فيها وفاء لخدماته له طوال حياته..!

***

□

الواجب

(حكمت المحكمة على المتهم أحمد ..... بالحبس لمدة خمس سنوات مع الشغل والنفاذ)..... !

ارتمى حسن على مقعده بقاعة المحكمة، وراح يتذكر شريط ذكرياته مع فادي..
فقد نشآ وتربيا معاً، فادي كان ابناً لضابط بارز من ضباط الجيش، وحسن ابناً لمهندس طيار يعمل بمطار القاهرة، كانا يعيشان في قمة الرفاهية، وكلاهما يعشق الآخر ولا يتركه إلا على النوم فقط..

كان فادي يحلم دوماً أن يكون قاضيا، وحسن يعشق أن يكون ضابطا مثل والد فادي، ولما انتهيا من الثانوية العامة..

دخل فادي كلية الحقوق، وتحطمت آمال حسن في دخول الكلية الحربية التي حلم بها كثيرا جدا، حيث كان أبوه منتميا لجماعة ما، واستقر به الحال في الجامعة الأمريكية.

تخرج كلاهما، وعمل فادي بنيابة مصر الجديدة، كما عمل حسن في أحد البنوك الهامة..

أصبح حسن عضوا في البرلمان الذي يحاول أن يسيطر على مقاليد الأمور في البلد بحكم انتماء والده لتلك الجماعة والحزب..

وفي نفس التوقيت..

استمر رباط الصداقة بينه وبين فادي صديق عمره، ولم ينقطع، وطلب منه حسن بحكم الصداقة بينهما أن يقف مساندا لصديق له يدعى أحمد، وهو عضو بنفس الحزب المنتمي إليه حسن ووالده، والذي تورط في أعمال أوقعته تحت طائلة القانون..

كان انتماء حسن للحزب قوي فهو الذي وفر له الحصانة، وجعله يتبنى فكرة الدفاع

المستميت عن صديقه أحمد بالرغم من يقينه أن أحمد مخطئ وبشدة.

اتجه حسن إلى فادي متوددا ومقدما له العديد من المبررات التي تحول دون وقوع أحمد تحت طائلة القانون. حتى أنه وضع صداقتهما في كفة وانقاذ فادي لأحمد في كفة أخرى..

وفي الصباح بدأت الجلسة بقاعة المحكمة، ونودي على المتهم في ترقب كبير من حسن، وجاءت اللحظة الحاسمة..

***

□

العودة

بعد غياب طويل، جمعتُ خلاله الكثير من الأموال؛ آملا في سعادة دائمة..
عدت أتفقد الشوارع والأماكن والبيوت، وعادت الذكريات تتقافز إلى ذهني والأفكار تراودني وأنا أقترب..

أها.. يطويني خيالي فهاهما طفلتاي تتوكآن على بعضهما أثناء العودة من المدرسة. وزوجتي الحبيبة تفتح زراعيها في ترحاب بهما كالعادة، يا ويلي كأن لي دهر من الزمن لا أراسلهما ولا أحادثهم ربما زوجتي غاضبة مني لقد تركتها تتحمل المسئولية كاملة لي أكثر من خمسة أعوام أرسل فقط بعض المال الذي يكفي بنتي وزوجتي بالكاد..

يااااه.. الأسئلة الآن تجتاحني، وتدور في خلدي طويلا....
فهل كبرت بنتيّ؟
هل غرست زوجتي فيهما القيم التي طالما حرصت على غرسها كمباديء فيهما يوم كنت أؤمن بالقيم والمباديء..؟
يا ترى ماذا ستفعل زوجتي عندما تلقاني..؟
تعاتبني.. تعانقني.. تلتفت بعيدا غاضبة مني...
ها أنا أستفيق من شرودي لأجد نفسي أمام الباب، آخذ نفسا عميقا ثم أطرق الباب في تردد..

فتحوا الباب.. تسمرت مكاني وتسمروا جميعا.. وكأنه لا شيء هناك، كأن بنتي لا يعرفانني.. جفوت عليهما فقابلاني هذا الجفاء.. لا يهم الأموال ستعيدهما إليّ ؟
زوجتي تركتني ودلفت إلى الداخل ثم عادت وهي تحمل حقائبها... سألتها هل مجيئي سبب رحيلك ؟
لم ترد ، وخرجت بين أسئلتي وصرخات بناتي، أوقفتها عنوة وأعدت سؤالي...

- أنت هدمت البيت الذي ظللت عمري أبنيه..!
- أنا أهدم ؟؟!!!
- غيابك قتلنا ودمر مشاعرنا تجاهك..
- أنت أفسدت بنتي
- هما لك فأصلحهما
قالتها وانصرفت بإصرار، ولكن صدى صوتها ممتزجا بصرخات بنتي ظل يتردد في أذني طويلا..
قلت لنفسي: نعم سأصلحهما..

ركزت في منزلي، راصدا كل الأفعال التي تقوم بها البنتان،

بين الحين والآخر ألحظ ضياع بعض المال من حافظتي..
يالمصيبتي....هل يمكن أن تسرقني بنتي..؟

يتكرر حادث السرقة، تعمدت ترك المال دون رقابة، والنتيجة مال ضائع وجاني غير مجهول..

زوجتي لا سامحها اللّه.. دمرت أسرتي، أفسدت أخلاق بنتيّ ومضت لحال سبيلها. عليها اللعنات في كل كتاب..
جئت ببنتيّ، وقررت مواجهتهما..سألتهما مقتضبا .. غاضبا:

- من منكما تسرق المال ..؟
- كلانا يا أبي ..
- لماذا ؟؟؟
- لنشتري به كارت شحن ونطمئن على أمنا..!!

☆☆☆

□

الضمير

أدخل أحدي لجان الثانوية العامة، العيون ترقبني بحذر والأقلام علي أهبة الاستعداد لبدء المعركة مع ورقة الأشئلة..

بدأت أوزع كراسات الإجابة علي الطلاب، وعيون فتي تراقبني في خوف وترقب.. وزعت ورق الأسئلة حين تسلمته من مراقب الدور...

وعينا الفتى لا زالت ترقباني بحذر شديد .. لاحظت أن كل ما يفعله هو التلصص علي ورقة زميله محاولا اصطياد أي كعلومة ليضعها في ورقة إجابته الفارغة..

اقتربت مني زميلتي الملاحظة قائلة في صوت خافت: المساعد كريم.. وكانت نظرتها تتجه نحو الفتى.

- ماذا....؟

- له ظروف خاصة حالت دون مذاكرته، فقد توفي والده من شهرين وتوفيت أمه منذ ثلاثة أسابيع..

انتابني الهدوء..

ومن وراء ظهري.. بدلت الزميلة الملاحظة ورقة الاجابة بأخرى، لمحتها بطرف عيني، ولم أعلق، بعدها استأذنت مني بحجة الحمام، وخرجت مسرعة.

مازلت واقفا في مقدمة الحجرة راصدا كل الحركات، وقد تسرب الضيق إلى نفسي.. فإذا بها تدخل مهرولة، لمحتها وقد بدلت الورقة مرة أخرى، أعادت كل ورقة لصاحبها..

قارب الوقت علي الإنتهاء، وانتظرت حتى أفرغت الأقلام ما في جعبتها وتسربل الطلاب واحدا تلو الآخر ، ولكن الغريب أن ذلك الفتي أصبح منهمكا في الكتابة.

فرغ كل الطلاب وذلك الفتي خرج في آخر الأمر وعلى شفتيه ابتسامة خبيثة..

سلمني الورقة وانصرف، وحين خرجت إلي الفناء وجدت الطالب يقف مع المدرسة، ويقول لها معنفاً:

- الحل كله خطأ يا أستاذة أنا أعطيتك المال للنجاح؛ وأنت نقلتي إجابات خطأ من كراسة طالب فاشل..!

☆☆☆

□

هي.. الداء

كانت العبارة تسير بنا وتشق الماء في هدوء، منظر الماء من حولي يبعث في نفسي الهدوء والسكينة..

علي مقربة مني جلست فتاة هادئة الجمال تنظر إليّ، عيناها الواسعتان وصدرها الناهد بعثا في جسدي رعشة خفيفة.

قلت ربما هي التي أنتظرها من زمن طويل، بادلتها النظرات، وأومأت إليها فأومأت إليّ..

اقتربت مني في هدوء ثم ارتمت عليّ فاقدة الوعي، تجمع بعض الناس في سرعة، وفي سرعة أفاقت..

قالت: ما الذي حل بي ؟

قلت مرتبكا : ربما.. دوار البحر ..!

ارتفع صوت محرك العبارة مع قرقعة عنيفة، تفرق الناس من حولنا كالنحل.. وبدأ الصراخ يعلو ويزداد.. وكل واحد يحاول ارتداء جاكيت النجاة..

كنت أشعر بالعبارة تغوص وتغوص إلي الأعماق، ألتفت إلى جانبي؛ فلم أر الفتاة ذات العينين الواسعتين والصدر النافر، شعرت

بشيء غريب ينتابني لأول مرة.. ربما إعجاب، وربما .....

مددت يدي إلى جيبي.. فحافظة نقودي بها أوراق هامة لابد أن أبعدها عن الماء..

لكن حافظة نقودي اختفت، كل شيء كان يسقط سريعا في قلب الماء، والأشخاص كل يحاول النجاة.

رأيتها من بعيد تقاوم الغرق، كانت تستغيث بشدة، ولا مغيث..

قفزت إلى الماء، وحملتها فوق ظهري وذهبت حتى الشاطئ، نظرت إليّ في خجل ومدت يدها إليّ بحافظة نقودي..!

☆☆☆

□

مفارقة

نمت مبكرا آملا في غدٍ أفضل، استيقظت على صوت الرصاص مستنشقا الدخان الذي أبكاني، وبلا إحساس جعلني أنتفض من فوق سريري واقفا في قلب الحدث.

وسط طلقات الرصاص الموجهة، وقنابل الدخان تزداد دموعي، وحب الفضول جعلني أقف أمام قسم الشرطة..

لم أعرف ما يحدث أو كيف أتصرف والناس من حولي تقتحم القسم بسرعة، وتسرق كل ما

به من أسلحة وذخيرة.. بل وكل محتوياته، بينما رجال الشرطة في حالة استسلام وهروب، أخذتني قدماي إلي داخل القسم رأيت بعض العامة يحاولون سرقة أحد الضباط الفارين، وشاهدت ملامح الاستغاثة في عينيه، دفعت البعض عنه ولم أفكر في الخطر المحدق بي وساعدته في الهرب عبر سور القسم..

نمت مبكرا لعرضي في الصباح علي المحكمة بتهمة تخريب قسم الشرطة، وسرقة ما به من محتويات مختلفة، وسرقة أسلحة وذخيرة ميري..

كانت الشرطة قد فرضت سيطرتها مرة أخري واعتقلت المئات من هنا وهناك..

الآن.. أقف أمام القاضي محاولاً الدفاع عن نفسي، جاءت النيابة بأقوال الشهود ..

حكم القاضي عليّ بالسجن خمس سنوات كاملة، بعد سماع أقوال الشهود ..

أقوالهم كانت تدينني بشدة، ومن الغريب أن الشاهد الأول ضدي كان الضابط الذي ساعدته على الهرب..!

☆☆☆

□

□

رسالة.. إلي والي المدينة

قالت: سئمت من الزمن، فتمارض القلب الهزيل من الهوي.. رسالة أولى لوالي المدينة.. اتجهت إلي الوالي، طلبت القرب منه في ابنته ذات الحكمة، فنظر إلي ساخرا :

أتطلب كبد البلاد ؟!

أعلم يا رجل أن للنار سطوتها علي كل الأماكن، لقد عشت عذابات الوهم والظنون، وهم الكيد وكيد الحكم..

لحظتها.. رأيت العناد في قلبه الصلد، يقتل الكلمات علي شفتيه الغليظتين. لحظة الرفض..

أنستي تدخل في عجل، وفي عجل أيضا بادلتني نظرة حب بنظرة عشق..

ثم أخذت تحكي وتردد الكلمات الشهيرة علي لسان والينا..

قالت: لا فرق بين شخوصنا يا أبي .. لا تباين ولا اختلاف.. يا أبتِ.. أتقضي في أمور العامة، وتتخاذل عن السقيم بلا مرض، وتحقق الحلم الذي تمنيته وانتظرته طوال عمري..

عندها.. رأيت الابتسامة ترمم الكلمات التي هدمت علي شفتيه. رسالة أخيرة..!

☆☆☆

الفقيه

فارس شاب يبلغ من العمر الخامسة والعشرين، وكان يترنح من مشاكل الحياة في شتي المجالات مما أضطره إلي الهروب من الواقع والاتجاه إلي درب النساء.

وعمد إلي بعض الأصدقاء وعلي رأسهم مصطفي الذي يعمل بالتجارة وميسور الحال، لكنه سئ الخلق، يعمد إلي الشراب يوميا ومعه فارس واستمر الحال في مسلسل

الضياع إلي أن وجد فارس فرصة عمل في مدرسة خاصة.

واستلم فارس العمل وحقق بعض النجاح، وفي يوم سمع مدير المدرسة أن فارس يعمل في الدروس الخصوصية ويصرف كل دخله في شرب المخدرات ومعاشرة النساء مع صديقة مصطفي..

واجه المدير فارس بكل الاتهامات، وبالطبع عمد فارس إلي تبرئة نفسه حتي يبعد قوي الشك عنه..

وأحس فارس بالخطر المحدق به، فقرر الاتجاه إلي عباءة الدين، حيث الخطب في المساجد والوعظ وإطلاق اللحية، وتقديم النصائح لطالباته بالمدرسة..

وفي تلك الأثناء كان يتردد علي أصدقاء جدد، وفتحي كان أحد أصدقائه الجدد حيث يعمل أخصائي مكتبة الاثنان كانا يخافان علي سمعتهما كثيرا، وفارس يثق في رأي فتحي لأن عنده فطنة في حل المشكلات.

لكن فارس راح يلتف على عقل صاحبه محاولا أن يجره إلى ميوله ورغباته، حتى وافقه فتحي على كل ما يريد وبالفعل بدءا يذهبان إلي احدي شقق الدعارة ويترددان عليها دوما...

وفي تلك الأثناء كان فارس لا يزال يظهر الوجه التقي النقي أمام أسرة المدرسة وإدارتها، بل ويبدو أمام طالباته في شكل مثالي مشرف، غهو القدوة والمثل للجميع، بل ولدرجة أنه

أصبح الشيخ فارس رجل الدين المصدق، صاحب الفضل والنصيحة الصادقة لكل طالباته..

هذه المرة ذهب إلي الشقة ذاتها وإذا به يري الفريسة التي في انتظاره هي إحدي طالباته التي طالما نصحها بتقوى اللّه والسير في طريق الهدى..!

☆☆☆

ضيء القمر

لم يعبث يوما بمشاعر إنسان..

دائما يخدم الجميع، ويقدم مخلصاً كل ما يستطيع أن يقدمه للناس..

ودائما ينخدع بكلام الناس المعسول، لم يفكر أن القمر يوما سينزل إلى الأرض، فهو براه دوما بعيد المنال.

فجأة..!

رآه يهبط إلي الأرض، فألجم المشهد مشاعره وكاد قلبه ينخلع من مكانه، اعتقد أنه في

حلم جميل لم يرد أن يفارقه، لكنه دُهل من حقيقة الأمر .. القمر فعلا هبط بين يديه..!

اقترب منه في صمت، وانبهار ، كأن ساحر سحر عينيه في سرعة مدهشة..

وفي سرعة البرق شاهد القمر يتحول إلى نور جميل، ينطوي بين ضلوعه داخلا في ثنايا جسده يخترق قلبه بهدوء شديد..

وعندما تنفس أحس بشعور لم يحدث من قبل روح أخرى تخالطه أنفاسه، تمده بحياة أخرى، بل وتعلو به علو السماء..

عندها لم يستطع العيش أرضا فحلق مرتفعا إلى عنان السماء ولم يُعقّب..!

☆☆☆

□

ليلة ظنون

في الليلة الماضية لم أستطع النوم حتى الصباح، الهواجس والظنون لم تترك عقلي لحظة واحدة، ومن شدة الشوق إلى تلك الفتاة جعلني على مقربة من حافة الجنون..

فهي فتاة تملك روح طفل، ووجه قمر ، وجسد شمعيّ وكأنه أسطورة من خيالات لا وجود لها على الأرض، و لها قلب أم حنون يشع الدفء ويبعثه في القلوب عشقا..

في باديء الأمر ..

اعتقدت أنها ساحرة سحرتني بجمالها وعطفها وحنانها، لقد جعلتني إنسانا يعيش مسحورا..

أنظر بين الحين والآخر إلي جوالي موجها له نظرة عتاب على أنه لم يأتني بخبر منها يسعد قلبي، حاولت الاتصال بها كثيراً وجوالها لم يجب، تركت خيالي في بحر الظنون.

والد الفتاة رجل صعب المراس، غامض الشخصية، معقود الحاجبين دوما، بل مغلق الفكر ، مجرد من كل مشاعر الإنسانية..

لا يهتم بمشاعر ابنته، المال الكثير الذي يحوزه جعله يرفض زواجي من ابنته، مبررا رفضه بطريقة غريبة وكلام غير مقنع..

قال أنه لا يريد أن يتكلم عنه الناس قائلين أنه لم يستطع أن يصرف على ابنته وهي تدرس في الجامعة، لذا أسرع بتزويجها...

ظننت أن هذا الرجل يقف حائلا دون زواجي من معشوقتي، وأنه لا سبيل لي إليها إلا بالتخلص من أبيها، فقررت أن أتسلل في ظلمة الليل ذاهبا إلى بيت الفتاة حتى أعرف ما يدور معها، وعندما اقتربت من منزلها سمعت صوت صراخ علا في المكان ، تخيلت ملك الموت يهبط إلى المكان قادماً من السماء..

تحركت بالقرب من المكان، ورحت اتلصص على الخبر، لكن ماذا أفعل لو كان قتل هذا المتهور معشوقتي..؟

أو وافته المنية هو أو زوجته أو أحد ابنائه، صدمة الصراخ المرتفع جعلتني اتخيل أشياء عدة.. وعدت مسرعا إلى منزلي ومشاعر الحزن والأسي تتملكني، وتدور في عقلي وقلبي معاً، وعندما وصلت إلى أريكتي ارتميت عليها مرتعدا، بل أحسست أن قدمي لا تساعداني على حمل جسدي المتعب، ألقيت ظهري للخلف ممسكا بجوالي لعله يأتيني بالخبر اليقين بلا فائدة..

في الصباح.. شاهدت رقم محبوبتي يظهر في جوالي وقبل أن أسمع صوت الجوال مسرعاً سمعت صوت حبيبتي تقول اللصوص سرقوا كل ما يملك والدي..!!

☆☆☆

إصرار الوصول

ارتميت علي ظهري ممدداً علي الأريكة تاركاً نظري يمرح ويراقب نملة تسعى في سقف حجرتي..!

كانت تحمل شيئاً ضئيلاً من بقايا الطعام متجهة إلي ثقب صغير تعجبت من ضعف النملة، ومدي غبائها في أن تختار مسكنها في

السقف مما جعل أفكاراً كثيرة تدور داخل رأسي، ولما دخلت النملة الثقب..

وفجأة..!

رأيت مشهداً مهيباً ألجم لساني فلم أستطع أن أنطق أو أطلب استغاثة من أحد..

خرجت من الثقب نملة غريبة كبيرة، أو هكذا رأيتها فربما تخيلت نظرتها ذات الشعاع النافذ مما جعلني أشعر بالرعب الشديد، ولا أستطيع الحركة..

اتجهت نحوي غاضبة من تعجبي من ضعف النملة الصغيرة و اقتربت مني حتي دخلت في ثنايا جسدي كأنها ترتديني لباسا لها، أصابني الرعب الشديد لم أفق من الرعب إلا بعد أن أصبحت نملة تائهة فوق الأريكة

أحسست أن الأريكة مكانا يبعث في نفسي الرعب لأن طفلي دخل الغرفة متجهاً إلي الأريكة، جريت بأقصى سرعة خوفاً من أن يحطمني ابني الطفل الذي أراه الآن عملاقاً..

سقطت من فوق الأريكة كأني أهوي من قمة جبل، ولم ينم الطفل بل بدأ ينزل من علي الأريكة ويطاردني مرة أخرى دون أن يدري، أرسلت صوت استغاثة تجمع النمل حولي في سرعة غريبة وهم يقدمون لي يد العون ويوجهونني إلي المسار الآمن لتفادي حركة طفلي العملاق..

كان وصولي إلي الثقب معجزة، ولكني جمعت كل قوتي محاولا اللحاق بسرب النمل عبر الشقوق في الحائط وأنا أشعر بتعب

شديد..نفذت كل طاقتي لما وصلت إلي السقف وكان سيري على السقف مشكلة رأيتها من قبل مستحيلة..

طلبت استغاثة وأنا فاقدا الأمل، فرجع سرب النمل وحملوني وأنا أنظر إلي طفلي وهو ممددا على الأريكة حتي أدخلوني الثقب كي أحتمي به، وتركوني في مكان يبدو أنه مخصصا للنوم، ومن شدة التعب جعلني أروح أغط في النوم بسرعة أكثر غرابة..

في الصباح.. أيقظني بكاء طفلي وهو يقول ماما أبي دهس قدمي..!

☆☆☆

□

ثمن الحياة

كل يوم.. اعتادت هذه الدجاجة الرقطاء أن تبيض بيضة كبيرة، كانت ذات ريش كثيف، وكنت أحبها كثيرا من بين كل الدجاجات الأخرى..

وكانت لا تأتي عشتها إلا وقت شعورها بالرغبة في أن تبيض بيضتها المعهودة..

وكانت أمي لا تهتم بها كثيرا، ولا ترعاها ولا تهتم بمرضها إن مرضت ولا حتى بشفائها إن شفيت..

حتي أنها لم تفكر أن تبني لها عشة خاصة بها أبدا جراء ما تنتجه لها من البيض والخير الوفير من بين كل الدجاجات الأخرى..

كان لابد أن تهتم بها أكثر وأكثر فتبني لها عشة خاصة كي تقيها حر الشمس و مطر الشتاء، بل كانت أمي تقهرها أكثر، فلا تضع لها طعاما وحدها قط، وكانت لا تحصل من بين الدجاجات الأخرى إلى على القليل من الحب والطعام،

فكان طعامها غالبا من خراج الأرض، هنا وهناك..

كانت أمي لا تهتم فقط إلا بالبيض لأن البيض لذيذ ومطلوب من كل الناس حولنا، وغالبا ما يمر التاجر ويشتريه، وبنقود كثيرة..

الدجاجة ضعفت ووهنت، وانقطعت عن البيض مثل كل يوم، كانت أمي تنظر إليها في ضيق وتبرم..

مرت الأيام تباعا والدجاجة لم تعد تبيض، ومرضت أمي وطلب منها الطبيب أن تتغذى جيدا، وحينها لم يكن في وجهها غير الدجاجة التي لم يعد من ورائها فائدة ترجى.....!

☆☆☆

□

الكائن الفضائي (١)

هبط إلي الأرض، انبهر بذكاء الإنسان، أول من شاهده علي سطح الأرض الرجل المعمم (الدجال) الذي يبيع الوهم للناس،

قرر مساعدة هذا الرجل بالعلم الوفير الذي يمتلكه والذي يفوق قدرات البشر، راقب الرجل وحديثه عن العفاريت والخزعبلات واللعب بعقول الناس، ليتربح المال الوفير من جراء ذلك، فتمثل في صورة الرجل المعمم وظهر للرجل، عندما رأي الرجل نفسه كاد يموت من

الرعب، صرخ صرخة طفل يستغيث، ولكن لا أحد يسمعه لأن هذا الكائن الغريب يسيطر علي كل شيء،

بدأ يهدأ رويداً رويداً عندها قال له:

- ألست من يقنع الناس بالجن والعفاريت..؟

قال والكلمات تتقطع علي لسانه:

- بلي.. بلى.. انصرف

قال : لن انصرف حتي أقدم لك العون وأجعل منك رجلا غنياً.

عندها لعب حب المال بعقله وقال متلهفا:

- وكيف ذلك؟

أجابه :

- لا يسمعني ولا يراني غيرك وأعمل لك ما تريد...

فجأة طرق الباب، نظر الفضائي للمعمم قائلاً امرأة عقيم ستلد بعد أحد عشر شهراً، أطباء عصركم لا يجدون لها علاجاً، أطلب منها ما تريد لأنها تملك ثروة طائلة..

وهكذا..

ذاع خبر المعمم الأرضي بين الناس وما وهبه اللّه من قدرات فائقة في علاج محتلف الأمراض النفسية والعضوية حتي اشتهر عن أكبر الأطباء بالعالم وبالفعل صار من الأغنياء، وحين مضى الكائن عاد إلى نقطة الصفر ..!.

الكائن الفضائي (٢)

ترك المعمم الدجال و طار بعيداً، هبط وسط الغابة، رأي الأسد يطارد صغير الثور..

والثور الأب يستميت في الدفاع عن ابنه، لكن الثور لا يملك القرون، الأسد زكي، ماهر في الافتراس، يستخدم الحيلة في الصيد، انبهر بغضب الثور في الدفاع عن صغيره، لكن الأسد يمتلك مقومات القوة من سرعة ومهارة وأسلحة طبيعية وخبرة في القتل.

الثور كان قد فقد سلاحه الوحيد في مناطحة بعض أفراد عشيرته، لذا اتجه المعمم الفضائي إلي مساعدة الثور حتي يرفع ظلم الأسد عنه؛ فاستخدم علمه وتقدمه الشديد في زرع قرون قوية جداً للثور ، لكن ضعف ذاكرة الثور لم تجعله يتذكر ثأره عند الأسد..

ذهب المعمم الفضائي إلي الأسد، وبدأ يستدرجه إلي مكان الثور حتي تقع الملحمة التي يخطط لها، عندما وقع بصر الأسد علي الثور الكبير تذكر طعم الثور الصغير اللذيذ؛ فبدأ الهجوم بدافع غريزة الافتراس..

لكن هذه المرة الثور كان مزودا بالدفاعات القوية، لم يتوقع الأسد ذلك، تحوَّل الثور من الدفاع إلى الهجوم، فتراجع الأسد قليلا بحكم قوة موانع الثور الهائج.

الكبرياء يحول دون هروبه، كيف يهرب سبع الغابة من ثور ؟

الغرور جعله يهاجم بشدة وشراسة، لكن قرون الثور نفذت داخل صدره، عندها أحس نهايته بطعنة نافذة في قلبه، وقبل موته

شاهد المعمم الفضائي يأخذه إلى حتفه، عندها سمع المعمم الفضائي يقول له:

- عذراً أيها الأسد يا من كنت ملك الغابة بلا منازع.. نحن الآن في زمن أصحاب القرون..!

الكائن الفضائي (٣)

وصل الكائن الفضائي إلى العاصمة، ترّجل عن مركبته وهام على وجهه في الشوارع و مختلف الأرجاء السكنية المزدحمة، انتقل من حي إلي حي باحثاً عن شيء يثير فضوله..

توقف هنا..!

المشهد أثار فضوله كثيرا، رجل يسترق النظرت لامرأة بالغة الجمال، والمرأة تبادله نفس نظرات الاشتياق..

حب الفضول جعله يرقب القصة جيداً، وبعد وقت اكتشف قصة الحب التي تجمعهما..

ولكن الرجل يعول بنتاً في سن الزهور و المرأة تعول ابناً في سن البنت تقريبا، قرر الفضائي أن يربط علاقة الحب هذه، وأن يجمع بين الرجل والمرأة، في علاقة لا تهدم البيت هنا أو هناك..

استخدم الحيل والطرق الجديدة المستحدثة حتى يجمع القلبين المتحابين، في علاقة حب تبقي مدى الحياة، قرب بين فلزات أكبادهم، وجعل الولد والفتاه يتحابان أيضا..

وقررا أن يرتبطا، واتجه الولد الى أمه وأخبرها أنه يريد أن يتزوج من فتاته وأخذ أمه واتجه إلي منزل الفتاة..

وعندما وصلوا لبيت الفتاة؛ لخطبتها، عرف الرجل بالموضوع، ولم يعطِ نفسه برهة تفكير واحدة، ووافق على الفور ؛ وصار الفرح اثنين..!

☆☆☆

الحسنة تخص والسيئة تعم

ذاع صيته بين الأعراب فهو سيد قومه، فكثرة كرمه تحاكى عنها الأعراب شرقا وغربا وشمالا وجنوباً..

كان يملك الكثير من العبيد لمباشرة القطعان وخدمة الضيوف، عرف عنه كل الناس أنه صاحب أقوال مأثورة، وحِكم لا تضاهى..

ذات يوم ترك أحد عبيده القطعان ليصيد غزالة برية، هجم وحش مفترس على القطيع وافترس الكثير من الخراف..

عرف رب القطعان ما حدث، جمع كل العبيد وقرر أن يلحق بهم أشر العذاب، وقال مقولته المأثورة (الحسنة تخص والسيئة تعم)..

وبعد فترة هاجم بعض أقارب هذا السيد من الغلمان قافلة تخص ملك عربي شهير ، كان جميع العرب يرهبون ذلك الملك في هذا الأوان، عرف سيد القوم ما فعله الغلمان، وقرر أن يذهب مقدماً اعتذارا للملك القوي ذات الهيبة والسلطان..

عندما التقاه رفض الملك اعتذاره وقرر إعدامه معللاً ذلك أنه سمع أعرابي يقول (الحسنة تخص والسيئة تعم)...!

☆☆☆

□

□

الصعود إلي الجبل

الابتسامة الرقيقة التي تحملها تلك الفتاة على محيّاها الجميل.. تجعل إصراري يكبر علي عبور ذلك الجبل الوعر الذي يفصل بينها وبيني..

وقد قال أبوها الثري أنه لن يزوجها إلا من فارس قوي شجاع يعبر ذلك الجبل الوعر ..

كلما حاولت الصعود أسقط متراجعا إلى حيث منتصف الطريق..

وذلك الجبل يمثل الكثير من العراقيل التي تحول دون الوصول إلى قمته حيث الأميرة الجميلة.. لن يصيبني اليأس.. قطعا سأحاول مرات ومرات، صورتها التي تخيلتها على السمع من هنا وهناك لا تغادر مخيلتي أبدا.. وحبها تملك من قلبي دون أن أراها، قالو أنها هيفاء كعود البان، بيضاء كالثلج عيونها ربيع العام وصوتها نسيم الجنان..

كلما فشلت ازددت اصرارا فوق اصرار ، ولكن الابتسامة وحدها لا تكفي..

الإصرار سيجعل مني ذلك الفارس الذي يتحدى كل العراقيل والصعوبات لأصل إليها، سأصل حتما الى قمة الجبل وآخذها..

عندها..

سمعت صوت كالندى.. وبرقة النسيم الحلو كانت صاحبة الابتسامة الرقيقة تناديني من خلف قمة الجبل، تملكتني من نبرات صوتها قوة هائلة..

جعلتني أعبر كل العراقيل وأصل إلى قمة الجبل آملا في رؤية هذه الابتسامة الرقيقة التي تعطيني مصدر الحياة، وجدتها واقفة على العشب الذي نما تحت قدميها على قمة الجبل، وبجوارها حصان أبيض، امتطيت الحصان واقتربت منها رويدا رويدا ثم ملت عليها وحملتها قدَّامي على الحصان.

وفجأة..!

انطلق الحصان إلى حيث لا أدري.. هناك توقف أمام الرجل الذي رمقني بقسوة، وتزلجت ابنته

من بين يدي إلى أسفل وانطلقت إلى أبيها، ألقى أحدهما إليّ بسيف بتار وأحاطني أربعة جنود من الأشداء، بدأت النزال، وصوتها الأخّاذ لا يزال يرن في أذني وضحكتها تصاحبني إلى حيث مخدعي..!

☆☆☆

□

□

صنم..!

بينما أقف على منبر المسجد الكبير ، كنت أشاهدجميع المصلين وهم ينتظرون ما سأقوله.

كنت احملق في عيون المصلين واحدا تلو الاخر، وأراهم يتهامسون ويتغامزون فيما بينهم، بل ويضحكون على كل ما أقول..

وكأنهم مكرهين على الحضور معي في المسجد، وسماع تلك الخطبة التي قررتها الأوقاف.. كنت أقف والضيق يسيطر عليّ

بينهم، وإمام المسجد المعزول يجلس في هدوء وابتسامة ساخرة ترتسم داخله وتبدو بشائرها على محياه المنير..

لم أجد غير الحقد والنفاق أتحدث عنه، وكأنهم اعتادوا على الشيخ القديم وما يقول من خطب سياسية عارمة ساخنة، كلهم لا يقتنع بما أقول، همسوا:

- إنها خطبة مفروضة..

قلت لنفسي لن أقول غيرها وهم رغم ذلك لا يسمعون، ولن يسمعون..

أنهيت الخطبة المحددة، ثم وقفت جامدا والسكون يخيم على المكان، انظار الجالسين تتجه إليَّ تارة وإلى الشيخ القديم تارة أخرى

قلت في حياء من اللّه عز وجل: بئس القوم انتم و أقم الصلاة..

نزلت من فوق المنبر وتقدمت للإمامة، قلت سووا الصفوف وسدوا الفرج، وحين أنهيت الفاتحة لم أجد إلا صوتي يتردد خلفي آمين...!

☆☆☆

□

□

سحاب الموت

كلما أمطرت- ارتشف بعض الماء المتساقط من السماء، لدرجة أنه ينتظر المطر لفترات طويلة، معتقدا أن ماء المطر ماءً مقدساً، يساعد على الشفاء من المرض الخبيث الذي ينهش جسده من زمن طويل ودون رحمة.

هذه المرة تنبأ علماء الأرصاد أن السُحب تحمل مواداً ضارة، حذروا الناس من الخروج في ذلك اليوم من بيوتهم، فماء المطر اليوم سيكون خطيرا وساماً وميتاً..

وقد يهلك الزرع والحيوانات التي تشرب منه، وفي الصباح الباكر خطف الرعد أسماع الناس وكادت الرؤوس تشيب وتعمى العيون من شدة البرق، وأمطرت السماء بغزارة شديدة.

أمطرت، ليس مطراً عادياً ولكنها شلالات تنزل من السماء إلى الأرض، كان المشهد مهيباً حتى المنازل والأشجار لم تتحمل الأمطار ورغم ذلك خرج الرجل ولم يبالِ بما حوله وقف في منتصف الشلال القادم من السماء.

وشرب كصائم في يوم شديد القيظ، وغسل وجهه ورانصب الماء يغسل جسده الهزيل، بقى تحت المطر طوال النهار وشطر من الليل

يشرب كلما طمىء، ويشرب كلما شعر بجوع..

بعدما حل الظلام الدامس هدأ المطر قليلا؛ فدخل الرجل منزله وهو يشعر براحة غريبة وكأنه اغتسل من همومه ومرضه الخطير الذي يأكل جسده منذ سنين، تذكر كل التحذيرات والتهديدات وفي هدوء غير ملابسه وغرق في نوم عميق حتى الصباح..!

☆☆☆

□

أوراق فارغة

فتح مفكرته الورقية..

وأخذ يفكر .....

ويفكر.....

ويفكر.....

و..... يفكر

.....

.....

.....

في .... لا شئ ..!!!!

راح يمزق أوراق مفكرته

ورقة ... ورقة

كلها أوراق فارغة

ألقى الأوراق الفارغة جانبا،

وعاد يفكر ويفكر في اللاشيء..

ثم مزق الأوراق كلها،

وبقي يفكر..!

★★★

□

النهاية

بعدما غرق في بحر الظنون..

أوشكت الكلاب المسعورة أن تفترسه..

..... احتمى بالأسد العجوز عند البحيرة؛

فتراجعت عنه الكلاب..!

..... نفض تراب الزمن عن رأسه، ونزل إلى قلب البحيرة يغتسل من كل الخطايا والموبقات التي طالته طيلة عمره..

..... تَعَكَّر الماء كله، ولم يعد ماءً طاهرا..

عطــش الأســد العجــوز ؛ فــنزل إلى الــبحيرة

وشرب من الماء؛ شرب كثيرا..

بعدها.....

..... تمــرغ في طــين الــبحيرة متألمــاً،

ومات في التو واللحظة..

عندها.....

شرعت الكلاب في ملاحقته من جديد..!

☆☆☆

□

الكاتب في سطور

أ/ كمال عقوقة أحمد

من مواليد الغنايم شرق / محافظة أسيوط ١٩٨٥م

عضو نادي أدب صدفا والغنايم

معلم أول رياضيات بمدرسة الغنايم الثانوية

نشرت له عدة قصص بالمجلات والدوريات

المحلية الثقافية والمتخصصة. وعلى المواقع

الالكترونية وغيرها..

حضر العديد من الندوات والجلسات الأدبية

المحلية والاقليمية.